

((الكوارث والظواهر الطبيعية في الموصل من خلال مؤلفات المؤرخ الموصل ياسين بن خير الله الخطيب العمري))

أ.د. جاسم محمد حسن العدول*

ملخص البحث

تعد مدينة الموصل واحدة من المدن التي حبتها العناية الإلهية بالكثير من النعم كأزدهار اقتصادها ووفرة مياهها واعتدال مناخها. لكن ذلك لم يحل أحياناً دون أن تمر المدينة بفترات ضيق وشدائد لعل في مقدمتها تفشي الأمراض والأوبئة وخصوصاً مرضي الطاعون والجذري. كذلك عانت الموصل من غزو أسراب الجراد ومن تأخر سقوط الأمطار أو شحتها. كما داهمت الموصل في بعض الأحيان موجات البرد الشديد وسقوط بَرَد بحجم كبير جداً. كذلك شهدت الموصل عدداً من الظواهر والكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل والزوابع الرعدية وحوادث الكسوف والخسوف. وتسببت تلك الكوارث في حدوث خسائر بشرية ومادية كبيرة.

Conclusion

Providence has blessed Mosul with many graces such as moderate climate, commercial prosperity and plentiful waters.

Nevertheless, town has faced times at hardships like the spread at diseases (plague, measles and small-pox), in addition to pests like locusts, drought, floods, severe cold, hails, earthquakes, thunder storms, sun and moon eclipses as well as falling comets. These disasters caused heavy losses in lives and material.

نبذة عن المؤرخ والمؤلفات المعتمدة في البحث :-

ولد ياسين بن خير الله الخطيب العمري في الموصل عام ١٧٤٤م (١١٥٧هـ) من أسرة اشتهرت بالخطابة والعلم والتأليف والقضاء والافتاء^(١). ويعود أصل تلك الأسرة إلى الحجاز، فقد وفد إلى الموصل في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وبناء على توجيهات من السلطان

* استاذ/ قسم التاريخ/ كلية التربية.

العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) كل من الحاج قاسم العمري (ت ١٥٩١م) الذي كان يقيم في مكة المكرمة، والسيد عبد الله الاعرجي الحسيني الذي كان يقيم في المدينة المنورة^(٢). وقد استقر الاول في محلة (باب العراق) التي تقع في جنوب الموصل وتعرف ايضاً بمحلة (الشيخ محمد)^(٣). وانحدرت من الحاج قاسم العمري الاسرة العمرية التي قُدر لها - فيما بعد - ان تلعب دوراً مهماً في الحياة السياسية والثقافية في الموصل^(٤).

ويبدو ان العمري لم يحظ طيلة العقود الخمسة الاولى من حياته بنصيب مهم من التعليم بالرغم من كثرة العلماء والمدارس في الموصل في القرن الثامن عشر، باستثناء دراسته الفقه على يد ملا عبد القادر الاربلي بعد ان تجاوز عمره الخمسون سنة^(٥). وكان مما عُرف عن العمري مواظبته على حضور مجالس الصوفية وحلقات الذكر، ولم ينقلد وظيفة علمية كالخطابة والوعظ والتدريس فيما عدا تعيينه اماماً في بيت سعد الله بك بن الحاج حسين باشا الجليلي لبعض الوقت^(٦). ومما لاشك فيه ان ياسين العمري كان قد تأثر - وباعترافه الصريح - بأخيه محمد امين العمري الذي يُعد واحداً من ابرز مؤرخي الموصل في العهد العثماني، وصاحب العديد من المؤلفات القيمة في شتى صنوف المعرفة^(٧).

اما عن تاريخ وفاة ياسين العمري فليست هناك معلومات مؤكدة بشأنها وكل ما لدينا انه توفي بعد عام ١٨١٦م (١٢٣٢هـ)^(٨).

وبصدد مؤلفات ياسين العمري فكانت تتألف من عدد من المخطوطات، والتي وجد قسم منها طريقه الى التحقيق والنشر^(٩).

لقد اعتمد بحثنا في الاساس على بعض المخطوطات التي كتبها ياسين العمري والتي تم تحقيقها ونشرها وفي مقدمتها المخطوط الموسوم "الآثار الجلية في الحوادث الارضية" والذي كان الدكتور داؤد الجلي الموصللي قد تولى ترتيبه وتبويبه واعطائه عنواناً جديداً وهو "زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية" وقد احتوى هذا المؤلف على معلومات غزيرة عن الكوارث والظواهر الطبيعية التي شهدتها الموصل ابتداءً من القرن الاول الهجري وحتى عام ١٧٩٣ - ١٧٩٤م (١٢٠٨هـ). كما امدنا مخطوط "الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون" لمؤلفه ياسين العمري بمعلومات قيمة جداً. وقد قام الدكتور جزيل الجومرد باستنساخ هذا المخطوط ابتداءً من احداث سنة ١٥٢٧/١٥٢٨م (٩٣٤هـ). وقد تكرم مشكوراً بإعارتي النسخة المذكورة.

كما استفدنا كثيراً من كتاب " غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر " والذي تابع العمري فيه مختلف الاحداث التي شهدتها الموصل حتى عام ١٨١٠م (١٢٢٥م). كذلك القت المعلومات التي اوردها ياسين العمري في كتابه " منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء " بعضاً من الاضواء على الموضوع. واستعنا في احيان قليلة بالمعلومات التي اوردها المؤرخ العراقي الكبير عباس العزاوي في كتابه "تاريخ العراق بين احتلالين" والتي كان قد نقلها من مخطوط "عمدة البيان في تصارييف الزمان " لمؤلفه ياسين العمري.

وثمة ملاحظة مهمة وهي اننا اقتصرنا في بحثنا على دراسة الكوارث الطبيعية في الموصل ابتداءً من عام ١٢٥٨م (٦٥٦هـ) لاعتبارات منها ان هذا العام يعتبر بمثابة منعطف جديد في تاريخ الموصل بل في تاريخ العراق كله كان من ابرز معالمه سيطرة الاجانب على مقدرات العراق. كما ان المعلومات التي اوردها العمري حول القرون الهجرية الستة الاولى في كتابه "الآثار الجليلة..") كان قد نقلها حرفياً تقريباً - حسب قول الدكتور داود الجبلي - من كتاب " الكامل في التاريخ " لعلي بن محمد عز الدين المعروف بأبن الاثير الجزري.

لقد اتسمت المعلومات التي اوردها ياسين العمري في مؤلفاته بطابع الموضوعية والواقعية ولو ان ذلك لم يحل دون لجوئه الى المبالغة في بعض الاحيان. ومن جانب اخر لم تخل المعلومات التي اوردها العمري من بعض التناقضات واختلاف - ولو بسيط - في التواريخ.

وينبغي التنويه الى ان ياسين العمري كان قد استخدم في تأريخه للحوادث وفي كل مؤلفاته التقويم الهجري. وقد حولنا السنوات الهجرية الى ما يقابلها من السنوات الميلادية اعتماداً على الجداول التي اوردها المستشرق الارمني السوفيتي (سابقاً) يوسف ايكاروفيج والتي قام بترجمتها الدكتور حسين قاسم العزيز والمنشورة في مجلة المورد البغدادية المجلد الثالث، ع٤، لسنة ١٩٧٤، ص ص ٩٤-١٤٢.

الكوارث والظواهر الطبيعية في الموصل

مقدمة:- على الرغم من ان الموصل كانت قد عُرِفَت على مر تاريخها الطويل وبشهادة العديد من المؤرخين والرحالة العرب والاجانب بالكثير من المزايا كالثراء والرخاء، وعذوبة المياه، ووفرة الامطار، واعتدال المناخ الا ان ذلك لم يحل دون تعرض المدينة الى الكثير من الكوارث الطبيعية بين الحين والآخر. وكان من اخطر تلك الكوارث هي تفشي الاوبئة والامراض، وغزو اسراب الجراد، وانحباس الامطار علاوة على موجات البرد القارص وسقوط البرد. كذلك شهدت

الموصل بعضاً من الظواهر الطبيعية كالزلازل وحوادث كسوف الشمس وخسوف القمر، وظهور المذنبات إضافة الى سقوط النيازك في بعض الاحيان.

كوارث الاوبئة والأمراض:- عانت الموصل بين وقت وآخر من العديد من الاوبئة والأمراض، لعل من اكثرها فتكاً وانتشاراً وباء الطاعون الذي تفشى في الموصل مرات عديدة جداً واودى بحياة المئات من السكان. فقد ظهر الطاعون في الموصل في عام ١٢٦٧ م (٦٦٥هـ) واجهز على حياة عدد كبير من السكان ^(١٠). وفي عام ١٤٠٧/١٤٠٨ م (٨١٠هـ) انتشر وباء الطاعون في كل من الموصل وبغداد وشهرزور ^(١١) وغيرها من المناطق المجاورة وفتك بحياة كثير من الناس ^(١٢). وفي عام ١٤١٦/١٤١٧ م (٨١٩هـ) ضربت موجة من الطاعون بلاد فارس ومصر والعراق وعانت منها الموصل ايضاً اذ منيت بخسائر فادحة في الارواح ^(١٣) كما اجتاحت الطاعون في عام ١٤٢٤/١٤٢٥ م (٨٢٨هـ) كلا من مناطق ديار بكر والجزيرة ^(١٤) ونصيبين وماردين والموصل، ثم امتد الى العمادية وتسبب في حدوث وفيات جسيمة ^(١٥). وعاد الطاعون للظهور من جديد في الموصل في عام ١٤٣٤/١٤٣٥ م (٨٣٨هـ) ومالبث ان وصل الى شهرزور واربيل وكركوك ^(١٦). وفي عام ١٤٥٦ م (٨٦٠هـ) اكتسح الطاعون مدينة الموصل وجزيرة ابن عمر ^(١٧). وشهرزور والعمادية وعقرة واسفر عن وقوع خسائر كبيرة في الارواح بين سكان تلك المناطق ^(١٨). وفي عام ١٤٦٩/١٤٧٠ م (٨٧٤هـ) تفشى الطاعون في بغداد واودى بحياة الكثير من سكانها ثم امتد الى تكريت والموصل واربيل وشهرزور وتسبب في موت عدد كبير من السكان ^(١٩). كما اجتاحت الوباء نفسه مدينة الموصل في عام ١٥٩١/١٥٩٢ م (١٠٠٠هـ) وافنى كثيراً من سكانها ^(٢٠). وعاد الطاعون الى التفشي في الموصل في عام ١٦٠٦/١٦٠٧ م (١٠١٥هـ)، وظل يفتك بالمدينة طيلة خمسة اشهر، وقدرت خسائره بـ (١٠٥٠) نسمة يومياً ^(٢١). وفي عامي ١٦٢٥/١٦٢٦ م (١٠٣٥هـ) و ١٦٤٣/١٦٤٤ م (١٠٥٣هـ) اكتشفت بعض الالصابات بالطاعون في الموصل ^(٢٢).

وقاست الموصل في عام ١٦٥١ م (١٠٦١هـ) من طاعون خطير دام اربعة اشهر ووقع خسائر كبيرة جداً في الارواح حتى روي انها تجاوزت الالف ضحية في اليوم الواحد ^(٢٣). وفي عام ١٦٧٣/١٦٧٤ م (١٠٨٤هـ) ظهرت اصابات بمرض الطاعون في الموصل والقرى المجاورة لها ^(٢٤).

وعاود الوباء مدينة الموصل في عام ١٧٠٢/١٧٠٣م (١١٤هـ) واستمر لمدة اربعة اشهر والحق خسائر فادحة زادت عن الف نسمة يومياً^(٢٥).

وفي آواخر عام ١٧٣٦/١٧٣٧ م (١١٤٩هـ) بدأت موجة جديدة من الطاعون بالظهور في الموصل واستمرت حتى السنة التالية، وقيل ان الخسائر الناجمة عنها تجاوزت الف نسمة يومياً^(٢٦). وكانت تلك الموجة قد استغرقت مدة تزيد عن اربعة اشهر^(٢٧). ومما روي بصدد هذه الكارثة ان ملا عبدالله الشهير بالمدرس (وهو احد الشخصيات الدينية التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في الموصل) كان قد اقترح في حينه على والي الموصل آنذاك وهو الحاج حسين باشا الجليلي اعادة تعمير الجامع الكبير في الموصل والذي كان المصلون قد انقطعوا عن اقامة الصلاة فيه مدة تقرب من خمسين سنة جراء الاهمال الشديد الذي تعرض له نتيجة موجات الغلاء والقحط التي تعرضت لها مدينة الموصل، كأجراء من شأنه كسب العطف الالهي ودفع خطر الطاعون، واستجاب والي لذلك الاقتراح وعاد المصلون الى الصلاة في الجامع المذكور وزال الطاعون^(٢٩).

وفي عام ١٧٦٥/١٧٦٦م (١١٧٩هـ) برز الطاعون في الموصل وكان قد انحصر في حي عرب الاشمطا، الذين ينزلون خارج سور الموصل قريباً من مرقد النبي شيت، مما حملهم على الرحيل منه والنزول بالقرب من مرقد الشيخ الغزلاني. وقيل ان الطاعون كان قد اجهز على معظم اولئك العرب ولم ينج منهم سوى نفر قليل^(٣٠).

وشهدت الموصل في عام ١٧٧١/١٧٧٢م (١١٨٥هـ) قدوم طاعون جديد من استانبول^(٣١). ووصل الى ديار بكر ومن ثم زحف الى الموصل^(٣٢). حيث ظهرت اولى الاصابات به في الجهة الشمالية من المدينة ثم مالبت الوباء ان عم بقية الجهات، واشتدت وطأة الوباء في السنة التالية. وتجدر الاشارة الى ان الموصل كانت تعاني آنذاك من نزاعات محلية^(٣٣) وقد ناشد سليمان باشا بن محمد امين باشا الجليلي الذي كان آنذاك واحداً من ابرز قادة الحزبين المتصارعين طرفي النزاع بعقد صلح بينهما، واستجاب هؤلاء لطلب سليمان باشا وعقد لقاء بينهما تخللته الكثير من المشاعر النبيلة، إذ اجهش الحاضرون بالبكاء تعبيراً عن ندمهم واخذوا يودعون بعضهم بعضاً وقدرت الخسائر التي الحقها الوباء أبان فترة ذروته بما يزيد على ألف ضحية يومياً^(٣٤) فيما بلغ إجمالي الخسائر ستمائة ألف نسمة أو أكثر^(٣٥).

وحرى بالذكر أن الوباء سالف الذكر لم يقف عند حدود الموصل بل تعداها إلى بغداد ومن ثم وصل إلى البصرة والزيبر (٣٦)

وقد تمت موجة طاعون جديدة من تركيا في عام ١٧٩٩/١٨٠٠م (١٢١٤هـ) ووصلت إلى الموصل. وظهرت أولى الاصابات بالوباء في محلة خزر ج الواقعة غرب المدينة مما اضطر سكانها إلى النزوح منها إلى خارج المدينة وسرعان ما انتشر الوباء في المحلات الأخرى من المدينة. وتجدر الإشارة إلى أن والي بغداد آنذاك (وهو سليمان باشا الكبير ١٧٨٠-١٨٠٢م) كان قد بعث بتعليمات إلى الموصل منع بموجبها الاكلاك والقوافل من التوجه إلى بغداد في محاولة منه لمنع تسرب الوباء إليها. وقد ازدادت خطورة الوباء في السنة التالية حيث تراوح عدد الوفيات بين (١٨٠) إلى (٢٠٠) شخص يومياً^(٣٧). وقد أسفر الوباء عن حدوث غلاء في الموصل نظراً لعدم ورود امدادات غذائية من بغداد أو من المناطق الجبلية. كما تسبب في هجرة عدد كبير من أهالي الموصل إلى القرى المجاورة. وروي أن معظم الوفيات حدثت بين النساء والأطفال والفقراء فيما قلت بين الرجال، إذ كان يموت رجل واحد مقابل موت عشرة من النسوة^(٣٨).

كذلك عانت الموصل من انتشار امراض أخرى فيها وخصوصاً مرضي الجدري والحصبة اللذين أوقعا خسائر كبيرة في الأرواح ولاسيما بين الأطفال.

وفي عام ١٧٥٩/١٧٦٠م (١١٧٣هـ) انتشر الجدري والحصبة بين أطفال مدينة الموصل والقرى القريبة منها وتسبب ذلك في حدوث وفيات كثيرة بينهم ثم مالبت ذينك المرضين أن انتقلا إلى بغداد والحقا خسائر بين أطفالها^(٣٩).

وفي عام ١٧٨١م (١١٩٥هـ) عاد مرضا الجدري والحصبة إلى الانتشار بين أطفال الموصل وتسببا في وفاة عدد كبير منهم^(٤٠)، فيما فقد أطفال كثيرون أبصارهم نتيجة لذلك^(٤١).

وطال المرضان ذاتهما أطفال الموصل وبغداد في عام ١٧٩٥/١٧٩٦م (١٢١٠هـ) وأسفرا عن حدوث خسائر فادحة في الأرواح قدرت بما يزيد على مائة طفل يومياً^(٤٢). وفي عام ١٧٩٨/١٧٩٩م (١٢١٣هـ) تفشت الحصبة والجدري بين أطفال الموصل وأودت بحياة الكثير منهم^(٤٣). وظهرت الحصبة والجدري من جديد في الموصل في عام ١٨٠٤/١٨٠٥م (١٢١٩هـ) وقدرت الخسائر الناجمة عنهما بستين ضحية يومياً^(٤٤). وفي عام ١٨١٧/١٨١٨م (١٢٢٣هـ) اجتاحت الحصبة والجدري أطفال الموصل وأوقعت خسائر كبيرة جداً بهم، حتى روي أنها وصلت إلى عشرة آلاف طفل^(٤٥).

وفضلاً عما تقدم عانت مدينة الموصل من انواع اخرى من الامراض كمرض السعال المصحوب بنقيض الدم^(٤٦). اذ اجتاحت هذا المرض الموصل في عام ١٧٥٦/١٧٥٧م (١١٧٠هـ) واودى بحياة عدد من الناس^(٤٧). وعاد المرض ذاته الى الانتشار في الموصل بعد ست سنوات والحق بعضاً من الخسائر في الارواح^(٤٨).

ومن جهة اخرى، شهدت الموصل وقوع اصابات بأمراض الحميات كتلك التي حدثت في عام ١٤١٥/١٤١٦م (٨٨٨هـ) والتي تسببت في حوث بعض الوفيات^(٤٩). وعادت الحميات الى الانتشار في الموصل في عام ١٧٧٨ (١١٩٢هـ) وقدر عدد الذين لقوا حتوفهم جراءها بما يتراوح بين عشرة الى عشرين شخصاً يومياً طيلة مدة المرض التي استمرت زهاء شهرين^(٥٠).

وثمة ملاحظة مهمة هي ان العمري تطرق احياناً الى ذكر امراض اخرى انتشرت في الموصل دون ان يذكر اسمائها او اعراضها فعلى سبيل المثال تحدث عن وقوع امراض في الموصل في عام ١٥٥٠ (٩٥٧هـ) تسببت في وفاة اعداد كبيرة من السكان طيلة شهرين^(٥١). وفي عام ١٧٩٥/١٧٩٦م (١٢١٠هـ) لقي ستون شخصاً من ابناء الموصل حتوفهم بصورة مفاجئة^(٥٢). وتكرر حدوث هذه الظاهرة في العام التالي واودت بحياة مائة شخص^(٥٣).

ولا بد من الاشارة الى ان كثرة تفشي الاوبئة والامراض في الموصل كانت تعود الى عوامل من بينها الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وخاصة صراعها مع الدول الاوربية، اضافة الى تدني مستوى الوعي الصحي بين السكان، وقلة الكادر الصحي المتخصص^(٥٤).

(ب) كوارث الجراد :-

عانت الموصل في اوقات كثيرة متباعدة من مخاطر الجراد، لاسيما الجراد المعروف بالنجدي، الذي كان يتسبب في تدمير المحاصيل الزراعية بصورة جزئية او كلية ومن ثم حدوث المجاعات والغلاء.

ففي عام ١٣١٨/١٣١٩م (٧١٨هـ) شهدت مناطق الموصل واربيل والجزيرة وديار بكر وماردين غلاءً شديداً اضطر بعض الناس على اثره الى بيع اولادهم وأكل الحيوانات الميتة، وكان للجراد - علاوة على عوامل عديدة اخرى - دوراً في حدوث ذلك الغلاء^(٥٥). وفي عام

١٤٦٣/١٤٦٤م (٨٦٨هـ) ظهرت اسراب كثيفة من الجراد في الموصل والتهمت ثلثي المزروعات وادت الى ظهور مجاعة في المدينة.^(٥٦)

وعاد الجراد النجدي الى الظهور في عام ١٤٧٤/١٤٧٥م (٨٧٩هـ) واجهز على الحاصلات الزراعية في الموصل مما تسبب في حدوث غلاء فيها، ثم مالبت الجراد ان رحل باتجاه شهرزور وتسبب في الحاق دمار كبير في مزارعها وادى يالتالي الى حدوث غلاء فيها.^(٥٧)

وفي عام ١٥٤٦/١٥٤٧م (٩٥٣هـ) فتكت اسراب من الجراد النجدي بمزارع الموصل وقضت عليها^(٥٨). وبرز خطر الجراد مرة اخرى في الموصل في عام ١٦١٦م (١٠٢٥هـ) واباد مزروعاتها واسفر عن حدوث غلاء ومجاعة فيها^(٥٩). وتكرر الشيء نفسه في عام ١٦٧٣/١٦٧٤م (١٠٨٤هـ).^(٦٠)

ولم تمض سوى ثلاث سنوات على الكارثة الاخيرة حتى اجتاح الجراد النجدي مزروعات الموصل التي كانت تعاني وقتذاك من شحة الامطار. ونجم عن هذا حدوث غلاء وظهور مجاعة في الموصل راح ضحيتها عدد كبير من الناس، مما اضطر عدد كبير آخر منهم الى الهجرة بحثاً عن لقمة العيش. ولجأ بعض الناس تحت وطأة المجاعة الشديدة الى اكل الدواب الميتة^(٦١).

وفي عام ١٦٨٨م (١٠٩٩هـ) غزا الجراد مزروعات الموصل وادى الى غلاء في المدينة^(٦٢). وفي عام ١٧١١/١٧١٢م (١١٢٣هـ) عانت الموصل من جديد من خطر الجراد الذي ابتداء ظهوره وهو لايزال في طور الزحف ففتك بالمزروعات فتكاً شديداً حتى روي انه لم يدع حشيشة خضراء في الارض، وعبر الجراد فيما بعد بعد نهر دجلة باتجاه الجانب الشرقي من المدينة وبلغ من شدة كثافته انه شبه بالحصير، والتهم معظم مزروعات القرى الواقعة شرق دجلة^(٦٣). وقد تسبب هذا الجراد في حدوث غلاء عرف بغلاء ابراهيم باشا^(٦٤). كما غزا الجراد مدينة الموصل في عام ١٧٢٦م (١١٣٨هـ) والحق اضراراً جسيمة بالمزروعات واسفر عن غلاء^(٦٥).

وداهم الجراد مدينة الموصل في عام ١٧٥٧م (١١٧٠هـ) والتهم مزروعات الجانب الغربي منها، ثم عبر نهر دجلة قبل اكتمال نموه واجهز على معظم محاصيل القرى الواقعة في الجانب الشرقي من المدينة. وعند اكتمال نموه وبلوغه مرحلة الطيران اشتدت شراسته حتى ان ضرره طال محصولي الباقلاء والبطيخ. وقد اسهمت كارثة الجراد هذه في اشتداد حدة الغلاء الذي كانت تعاني منه الموصل في تلك السنة^(٦٦). ولقي كثير من الناس حتوفهم جراء الجوع فيما اضطر بعضهم الى اكل لحوم الدواب^(٦٧).

وفي السنة التالية عاد الجراد للظهور في الموصل والحق اضراراً بالمزروعات وتسبب في حدوث موجة غلاء جديدة في الموصل وازدياد حدة المجاعة فيها، وقضى عدد كبير جداً من الناس نحيبهم فيها حتى ان الضحايا كانوا - لكثرتهم - يدفنون دون تغسيل ويلقى بأغلبهم في السرايب^(٦٨).

وفي عام ١٧٩٤/١٧٩٥م (١٢٠٩هـ) داهم الجراد مدينة الموصل^(٦٩) والحق اضراراً كبيرة قدرت بنثلث المحاصيل الزراعية^(٧٠) وبعد الانتهاء من موسم الحصاد في السنة الاخيرة جاء الجراد المعروف بالجختم (وهو جراد كبير الحجم شديد القضم) وشرع بمهاجمة بيادر الحنطة^(٧١). وعاد الجراد الى الظهور في السنة التالية وادى الى حدوث غلاء آخر^(٧٢). وتكرر ظهور الجراد في عامي ١٧٩٦/١٧٩٧م (١٢١١هـ) و١٧٩٧/١٧٩٨م (١٢١٢هـ) ^(٧٣).

(ج) ازمات الجفاف:-

على الرغم من مظاهر الثراء والرخاء اللذين اشتهرت بهما الموصل بالنظر لاسباب في مقدمتها وفرة الامطار، الا ان ذلك لم يحل دون تعرضها بين حين وآخر لظاهرة انعدام الامطار لبعض الوقت او شحتها او تأخر سقوطها مما كان يؤثر سلباً على اهالي الموصل وخصوصاً المزارعين منهم. سيما وان المحاصيل الزراعية الضرورية كالحنطة والشعير كانت تعتمد بدرجة اساسية على الامطار. ولعل من المناسب ان نشير الى العادة التي درج عليها الموصليون في مثل تلك الظروف وهي الخروج الى خارج المدينة لاداء الصلوات وتلاوة ادعية الاستسقاء وبصحبة الوالي في بعض الاحيان علاوة على عدد من علماء المدينة واعيانها. وكانوا يأخذون معهم نساءهم واطفالهم وحيواناتهم من ابقار واغنام وجمال ودواب، ويستمررون على ذلك مدة ثلاثة ايام متتالية. وكانت العناية الالهية تستجيب لدعائهم في بعض الاحيان، فيما شاعت الحكمة الالهية الا تستجيب لدعائهم في احيان اخرى.

ففي عام ١٥٤٦/١٥٤٧م (٩٥٣هـ) انحسرت الامطار في الموصل وادى هذا الى حدوث غلاء شديد فيها، لكن الازمة سرعان ما انتهت بعد فترة وجيزة في اعقاب عودة المطر الى السقوط^(٧٤). وبعد خمس سنوات تأخر سقوط المطر في الموصل مما حمل اهالي المدينة على الخروج للاستسقاء وقد استجابت العناية الالهية لهم في اليوم الثالث" فما اتموا الصلاة والدعاء الا والمطر جاء مثل افواه القرب"^(٧٥). وعادت ازمة الجفاف الى الموصل في عام ١٦٤٥/١٦٤٥م (١٠٥٥هـ) وخرج الاهالي للاستسقاء لكن الازمة استمرت، ومما زاد في الحالة

سوء وصول اسراب كثيفة من الجراد النجدي اجهزت على ماكان قد نبت من مزارعات واضطر سكان القرى الى هجر قراهم^(٧٦).

وفي عام ١٦٥٤/١٦٥٥م (١٠٦٥هـ) توقف سقوط المطر في الموصل وخرج الاهالي كعادتهم للاستسقاء، ومن الله عليهم بالمطر الغزير^(٧٧).

وحدث في عام ١٦٧٦/١٦٧٧م (١٠٨٧هـ) ان شح المطر في الموصل وخرج الاهالي للاستسقاء، لكن المطر استمر في الانحباس^(٧٨)، مما اسفر عن ارتفاع في اسعار المواد الغذائية وحدوث مجاعة اودت بحياة عدد كبير من الناس^(٧٩).

وتعرضت الموصل في عام ١٦٨٩ م (١١٠٠هـ) الى موجة جفاف قاسية، خرج الناس على اثرها للاستسقاء دون ان يؤدي ذلك الى تحسن الحالة. ورؤي ان الجفاف كان من الشدة بحيث " لم تنبت ولاحبة"^(٨٠). وواجهت الموصل نتيجة لذلك موجة غلاء فاحش عُرف بـ (الغلاء الكبير)^(٨١)، وسجلت اسعار المواد الغذائية كالحنطة والشعير واللحوم والتمور ارتفاعاً كبيراً^(٨٢) وعادت الاسعار الى الارتفاع من جديد على اثر استمرار ازمة الجفاف حتى بيع رطل^(٨٣) العجين بدرهمين ورطل الشعير بدرهم واحد. وقضى كثير من الناس نحبتهم بفعل الجفاف، فيما اضطر اناس آخرون الى اكل لحوم الدواب والحيوانات الميتة^(٨٤).

وفي عام ١٦٩٥/١٦٩٦م (١١٠٧هـ) او كما قيل في السنة التي سبقتها تأخر سقوط الامطار في كل من الموصل واربيل وكركوك مما اثار قلقاً شديداً بين السكان، لكن الازمة لم تستمر طويلاً، اذ بدأت الامطار بالسقوط في منتصف الاربعية^(٨٥).

وشهدت الموصل ازمة جفاف اخرى في عام ١٧٤١/١٧٤٢م (١١٥٤هـ) ترتب عليها حدوث غلاء. وخرج الاهالي للاستسقاء، ويبدو ان الازمة خفت حداثها في اعقاب سقوط بعض الامطار. وحدثت ازمة جفاف جديدة في السنة التالية وخرج الاهالي بصحبة الوالي الحاج حسين باشا الجليلي وجمع من اعيان الموصل للاستسقاء، واستجابت العناية الالهية لدعوات الناس اذ انهمرت امطار غزيرة (كافواه القرب)^(٨٦). وكان الوالي المذكور قد انشأ آبان تقاوم الازمة افراناً خصيصاً لأطعام الفقراء والمحتاجين^(٨٧).

كما تعرضت الموصل في عام ١٧٦٨/١٧٦٩م (١١٨٢هـ) الى ازمة جفاف استغرقت خمسين يوماً، وخرج الناس للاستسقاء ومن الله عليهم بالمطر وتحسن الوضع الزراعي^(٨٨). وحلت ازمة جفاف اخرى في السنة التالية وخرج الاهالي للاستسقاء برفقة الوالي الحاج حسين باشا الجليلي،

واستجابات العناية الالهية لتوسلات المجتمعين، فاخذت الامطار بالسقوط في اليوم الثالث من الاستسقاء^(٨٩).

وقاست الموصل في عام ١٧٨٥/١٧٨٦م (١٢٠٠هـ) من ازمة جفاف غاية في الشدة، اذ انحبت الامطار كلياً وافقرت القرى. وصاحب تلك الازمة موجة غلاء اخرى. وخرج الاهالي للاستسقاء برفقة الوالي الحاج عبد الباقي باشا الجليلي (١٧٨٥-١٧٨٦م). وعلى الرغم من سقوط امطار قليلة الا انها لم تف بحاجة المزارعين، مما ادى الى موتها. وتصاعدت حدة الغلاء ونفقت الدواب، وبيعت البقرة بثمن الجلد فقط، وبيعت الفرس الجيدة بعشرين قرشاً^(٩٠). وطرأت زيادة جديدة على اسعار المواد الغذائية الضرورية فأصبح سعر رطل الحنطة يتراوح بين درهم ونصف الدرهم ودرهمين، وتجاوز سعر رطل الشعير الدرهم^(٩١). ولجأ اهالي الموصل الى بيع كل مدخراتهم، فيما اضطر قسم كبير منهم الى الرحيل عن المدينة بحثاً عن لقمة العيش^(٩٢). واتخذ محمد باشا بن امين باشا الجليلي (وهو الذي تولى حكم الموصل بعد مصرع الحاج عبد الباقي باشا الجليلي في عام ١٧٨٦م) سلسلة من الاجراءات لمعالجة ازمة الغلاء^(٩٣).

وفي ربيع عام ١٧٩١/١٧٩٢م (١٢٠٦هـ) توقفت الامطار عن السقوط في الموصل مما الحق خسائر جسيمة بمعظم المزارعين^(٩٤)، قدرت بنصف انتاج محصول الشعير، فيما لم يسلم من محصول الحنطة سوى كميات قليلة جداً^(٩٥). ونجم عن هذا حدوث غلاء في الموصل^(٩٦).

(د) موجات البرد الشديد والانجماد :-

مع ان الموصل عرفت منذ القدم باعتدال مناخها حتى انها اشتهرت عبر التاريخ بأسم (ام الربيعين)، الا ان ذلك لم يحل دون تعرضها بين آونة واخرى الى موجات برد شديدة خصوصاً في فصل الشتاء تركت اثاراً كبيرة على الناس والمزارعين والحيوانات. كما عانت الموصل ايضاً من تساقط البرد الذي كان كبير الحجم جداً في بعض الاحيان، مما تسبب في الحاق اضرار بليغة بالمزارعين وبالمواشي.

ففي عام ١٣٥٥م (٧٥٥هـ) سقط في كل من الموصل ونصيبين برد كبير الحجم جداً حتى روي ان حجم الحبة الواحدة منه كانت بحجم بيضة الدجاج والحق اضراراً فادحة بالمزارعين وبالمواشي^(٩٧). وبعد مرور اربع سنوات سقط برد بحجم البرد السابق وحدثت خسائر مماثلة له^(٩٨).

وفي عام ١٤٠٦/١٤٠٧ م (٨٠٩هـ) سقط برَدٌ بحجم بيضة الدجاج في كل من الموصل ونصيبين. وكان بحسب رواية مؤرخنا- على اشكال مختلفة تراوحت بين المستدير والمربع والمستطيل. وقد تسبب هذا البرد في اتلاف كثير من المزروعات وادى الى حدوث غلاء في الموصل^(٩٩).

واجتاحت الموصل في عام ١٤١٤/١٤١٥ م (٨١٧هـ) موجة برد شديدة اضطر الناس على ائرها الى ان يقبعوا في دورهم، ومما زاد من معاناة الناس في تلك السنة انحباس المطر.^(١٠٠) وعاد البرد الى السقوط في عامي ١٤٣٠/١٤٣١ م (٨٣٤هـ) و ١٤٣٢/١٤٣٣ م (٨٣٦هـ) وكان بحجم بيضة الدجاج ايضاً، وتسبب في الحاق خسائر بالمزروعات وبالمواشي^(١٠١). وفي عام ١٤٩٣/١٤٩٤ م (٨٩٩هـ) سقط برَدٌ كبير الحجم جداً على الموصل^(١٠٢).

واكتسحت الموصل في عام ١٦٢٠/١٦٢١ م (١٠٣٠هـ) موجة برَدٌ شديدة ادت الى انجماد نهر دجلة، حتى اخذ الناس والدواب بالسير عليه^(١٠٣). وعاد نهر دجلة الى الانجماد ثانية في عام ١٧٠٩ م (١١٢٠هـ) في اعقاب موجة برَدٌ شديدة اخرى^(١٠٤). كما سقط في السنة نفسها برَدٌ كبير الحجم مما اسفر عن حدوث خسائر جمة في المزروعات^(١٠٥). كذلك تعرضت الموصل في عام ١٧٣٨ م (١١٥٠هـ) الى سقوط كميات كبيرة من الثلوج حتى انها غطت الارض على ارتفاع شبر واحد، واستمر تراكم الثلوج مدة اسبوع واحد^(١٠٦).

وعانت الموصل في آواخر شهر آذار من عام ١٧٥٠ م (١١٦٣هـ) من سقوط كميات من الثلوج بلغ سمكها شبراً واحداً. ونجم عن ذلك تلف بعض المزروعات كالخيار والترعوز.^(١٠٧) وفي عام ١٧٥٣/١٧٥٤ م (١١٦٧هـ) سقطت كميات كبيرة من البرد الكبير الحجم غطت الارض على ارتفاع شبر واحد، والحقت اضراراً بليغة بالمزروعات. وفي آواخر آذار من العام ذاته اكتسحت مدينة الموصل موجة برد شديدة استمرت خمسة ايام وادت الى تجمد المياه في اوقات الصباح.^(١٠٨)

وداهمت موجة برد غاية في الشدة مدينة الموصل في عام ١٧٥٦/١٧٥٧ م (١١٧٠هـ)، ادت الى انجماد نهر دجلة بصورة كلية. اذ تجمد في الليلة الاولى من بدء تلك الموجة في الليلة التالية الى سبعة اذرع من كل ضفة، ثم تجمد النهر كلياً.^(١٠٩) حتى مشى عليه الناس والدواب. وتراوحت فترة انجماد النهرين (١٤ يوماً)^(١١٠)، وسبعة عشر يوماً^(١١١) وكابد الناس جراء ذلك مصاعب جمة، وسجلت اسعار الحطب والفحم ارتفاعاً كبيراً حتى اختفتا من الاسواق^(١١٢).

وجدير بالاشارة ان موجة البرد هذه لم تكن تقتصر على الموصل فحسب وانما شملت مناطق اخرى مجاورة كمدينة حلب.^(١١٣)

وشهدت الموصل في عام ١٧٧٤/١٧٧٥م (١١٨٨هـ) سقوط كميات كبيرة جداً من البرد الكبير الحجم الذي قدرت حجم الحبة الواحدة منه بحجم الجوزة، وملأ الازقة والطرق والحق خسائر بالمزروعات.^(١١٤)

وفي عام ١٧٧٩م (١١٩٣هـ) تعرضت الموصل الى موجة ثلوج استمر تساقطها مدة خمسة ايام متتالية، وظل تراكم الثلوج في المدينة مدة اربعين يوماً^(١١٥)، مما حال دون خروج الناس من منازلهم او سفرهم^(١١٦)

وفي عام ١٧٩٥ (١٢٠٩هـ) عانت (٣٦) قرية من قرى الموصل من سقوط البرد عليها، مما تسبب في تدمير محاصيل (١٦) قرية منها تدميراً كاملاً، فيما تراوحت نسبة الخسائر في بقية القرى بين ٥٠ الى ٧٥% وقد عاد البرد الى السقوط ثانية في العام نفسه ففضى على مزروعات خمسة قرى اخرى^(١١٧) وفي العالم التالي سقط برد مختلف الاحجام على المناطق الغربية من الموصل وفي القرى الواقعة الى الشرق منها. وحدث هذا الاخير دماراً هائلاً في مزروعات سبعين قرية، ومن جهة اخرى شهد العام نفسه سقوط كميات كبيرة جداً من الثلوج على الموصل قدر سمكها بنصف ذراع، واستمر بقائها على الارض مدة ثمانية ايام.^(١١٨)

كذلك تعرضت الموصل في عام ١٧٩٨م (١٢١٢هـ) الى سقوط كميات هائلة جداً من الثلوج بلغ سمكها ذراعاً واحداً، في حين وصل سمكها في القرى الواقعة شرق الموصل الى ما يقرب من ذراعين. اما في عقرة فكان سمكها يناهز ثلاثة اذرع.^(١١٩)

وفي عام ١٨٠١م (١٢١٥هـ) سقط البرد على ديار عشيرة العبيد ودمر عدداً من بيوت الشعر فيها، واهلك كثيراً من اغنامها. وطال البرد مدينة عقرة والمناطق الجبلية القريبة منها وقضى على اغلب اشجارها^(١٢٠). وفي العام التالي عانت خمس من قرى الموصل من سقوط برد كبير الحجم اوقع دماراً بكافة مزروعاتها.^(١٢١)

الظواهر الطبيعية في الموصل :-

اولى العمرى اهتماماً برصد ومتابعة مختلف الظواهر الطبيعية التي حدثت في الموصل كالزلازل والزوايع وحوادث كسوف الشمس وخسوف القمر وما اشبه ذلك من ظواهر مشيراً - احياناً - الى ما احدثته من اضرار وردود فعل بين الناس.

فبالنسبة للزلازل، شهدت الموصل في عام ١٤٨٦م (٨٩١هـ) وقوع ثلاثة زلازل^(١٢٢). وفي عام ١٥٠٣/١٥٠٢م (٩٠٨هـ) تعرضت الموصل لزلازل امتد تأثيره حتى وصل الى تبريز واذريجان ومدينة اخلاط^(١٢٣)، وتسبب في انهيار عدد من المنازل^(١٢٤).

وضرب زلزال آخر مدينة الموصل في عام ١٧٦٤/١٧٦٥م (١١٧٨هـ) وكان زلزالاً خفيف القوة^(١٢٥). كما تعرضت الموصل في عام ١٧٨٢م (١١٩٦هـ) الى زلزال خفيف حدث عقب صلاة الجمعة، تلاه زلزال اخر بعد مرور اثني عشر يوماً^(١٢٦)، ووقع زلزال ثالث في السنة نفسها في الجزيرة مما تسبب في حدوث انهيارات ارضية في احد الجبال فيها، وانهيار قرية تقع اسفل الجبل، واودى هذا بحياة ثمانين شخصاً^(١٢٧) وحدث زلزال آخر في الموصل في عام ١٧٨٤/١٧٨٥م (١١٩٩هـ) عقب وقت العشاء^(١٢٨).

وفي عام ١٧٩٩/١٨٠٠م (١٢١٤هـ) ضرب زلزال مدينة الموصل ليلاً^(١٢٩)، وامتد تأثيره الى العمادية وتسبب في حدوث انهيارات ارضية في احد جبالها وتدمير قرينتين^(١٣٠).

اما بصدد الزوابع فقد تعرضت الموصل في عام ١٧٨٠م (١١٩٤هـ) الى هبوب زوابع رعدية قوية تخللها سقوط صاعقة على الجزء العلوي من منارة جامع محمد باشا (وهو جامع يقع في محلة باب البيض ويعرف بجامع الشيخ محمد الزيواني) وادى ذلك الى الحاق بعض الاضرار في المنارة^(١٣١)، واصيب عدد من الحاضرين بالاغماء نتيجة الدخان الكثيف الذي غطى الجامع^(١٣٢).

وضربت الموصل في عام ١٧٩٧/١٧٩٨م (١٢١٢هـ) زوابع رعدية قوية ادت الى انهيار ثلاثمائة جدار^(١٣٣)، واقتلعت هلال منارة الجامع الكبير، كما اقتلعت ابواب جسر الموصل^(١٣٤).

ومن ناحية اخرى، عانت الموصل في بعض الاحيان من العواصف الشديدة. كما حدث مثلاً في عام ١٧٥٩/١٧٦٠م (١١٧٣هـ) حينما هبت عاصفة ترابية استغرقت نصف ساعة صاحبها سقوط كميات من الاتربة شبيهة برمال الحجاز^(١٣٥). وفي عام ١٧٧٤/١٧٧٥م (١١٨٨هـ) اجتاحت عواصف قوية مدينة الموصل عند وقت العشاء واقتلعت عدداً من اشجار الزيتون والفسق^(١٣٦).

وبخصوص الفيضانات في الموصل، فعلى الرغم من انها كانت نادرة الحدوث الا ان ذلك لم يمنع دون تعرض المدينة الى بعض الفيضانات. فقد حدث فيضان في عام ١٧٦٧/١٧٦٨م (١١٨١هـ) ووصلت مياهه قريباً من جامع النبي شيت، والحق الفيضان اضراراً

ببعض بساتين الموصل^(١٣٧). وفي عام ١٧٩٨م (١٢١٢هـ) حدث فيضان في نهر الخوصر الذي يجري في الجهات الشرقية من الموصل، وغمرت مياهه الاراضي الزراعية القريبة، مما ادى الى انهيار عدد من المطاحن التي كانت تطل على النهر^(١٣٨).

ومن جانب آخر فقد كانت الامطار الشديدة الغزارة تتسبب احياناً في الحاق الخسائر بالمزروعات والممتلكات. ففي عام ١٧٧٤/١٧٧٥م (١١٨٨هـ) هطلت امطار شديدة الغزارة على الموصل مما ادى الى تكون السيول وغرق احد الاشخاص^(١٣٩). وفي عام ١٧٨٢/١٧٨٣م (١١٩٧هـ) تواصل سقوط المطر لمدة ثلاثة اشهر متتالية مما تسبب في تلف بعض المزروعات وانهيار عدد كبير من المنازل^(١٤٠). كما شهدت الموصل في عام ١٨٠٢/١٨٠٣م (١٢١٧هـ) سقوط امطار لمدة ستة اشهر نجم عنها انهيار بعض المنازل والحوادث^(١٤١).

وحدث - كما هو الحال في عام ١٧٩٥م (١٢٠٩هـ) ان استمر سقوط الامطار حتى حلول فصل الصيف، مما الحق اضراراً كبيرة بمحاصيل الحنطة حتى صارت سنبلاً بدون حب^(١٤٢) وبخلاف ذلك شهدت الموصل في بعض السنوات سقوط امطار قبل آوانها، كما حدث في عام ١٧٩١م (١٢٠٦هـ) حينما سقطت الامطار في آواخر شهر ايلول وتسببت في اتلاف الحبوب التي كانت مكدسة في البيادر حتى عاد بعضها الى الانبات^(١٤٣).

ومن الظواهر الغربية والطريقة التي رواها العمري ظاهرة هطول امطار مصحوبة باعداد كبيرة من الضفادع الصغيرة ولاسيما في اوقات الربيع كما حدث في عامي ١٧٦٥م (١١٧٨هـ)^(١٤٤) و ١٧٦٧م (١١٨٠هـ)^(١٤٥).

اما بشأن حوادث كسوف الشمس وخسوف القمر فقد شهدت الموصل في عام ١٣٧٦/١٣٧٧م (٧٧٨هـ) خسوفاً كلياً للقمر. وبعد مرور حوالي اسبوعين على ذلك الخسوف حدث كسوف للشمس وظهرت النجوم. كما سقط في السنة ذاتها نيزك في الجهة الغربية من الموصل وحدث سقوطه دويماً هائلاً، اسفر عن عدد من حالات الاجهاض كما مات من جرائه (١٢) غلاماً^(١٤٦).

وفي عام ١٧١٢م (١١٢٤هـ) حدث كسوف للشمس ثم تلاه بعد شهر واح خسوف للقمر استغرق ساعتين، كما سقط في السنة نفسها نيزك وانبعث منه ضوء شديد وقد احدث سقوطه دويماً هائلاً^(١٤٧). وفي عام ١٧٦٩/١٧٧٠م (١١٨٣هـ) ظهر مذنب في الجهة الشرقية من الموصل

واستمر على الظهور لعدة ليالي^(١٤٨). وقد علق العمري على ظهوره بأنه نذير بحدوث وباء طاعون جديد^(١٤٩). وفي السنة التالية ظهر مذنّب آخر في الجهة الغربية من الموصل واستمر لبضعة أيام^(١٥٠).

وفي عام ١٧٧٢/١٧٧٣م (١١٨٦هـ) حدث خسوف كلي للقمر^(١٥١)، وذلك في النصف الأول من الليل تحول على اثره شكل القمر الى ما يشبه قرص النحاس^(١٥٢). وعاد القمر الى الخسوف في عام ١٧٧٨م (١١٩٢هـ)، وقد حملت الظاهرة الاخيرة بقسم من اهالي الموصل على اطلاق العيارات النارية في الهواء اعتقاداً منهم ان ذلك سوف يؤدي الى عودة ظهور القمر^(١٥٣). وقد حاول الحاج صالح اغا الجليلي وهو اخو متسلم^(١٥٤) الموصل آنذاك الحاج عبد الباقي اغا الجليلي، منعهم من ذلك الا ان اهالي الموصل رفضوا الامتثال له بل انهم انهالوا عليه بالشتائم وهمّوا بضربه^(١٥٥). وقد سقط في السنة ذاتها نيزك كبير الحجم على الجهة الشرقية من الموصل وانبعث منه ضوء شديد وسبب ارتطامه بالارض صوتاً قوياً^(١٥٦).

وشهدت الموصل في عام ١٧٨٧/١٧٨٨م (١٢٠٢هـ) كسوفاً كلياً للشمس عند الظهر^(١٥٧)، وقد علق العمري على هذه الظاهرة بانها لم يسبق لها مثيل. اما عن الاصداء التي تركتها هذه الظاهرة بين الناس فقد اثار ذعراً كبيراً ولاسيما بين ابناء الطبقة العامة، اذ ترك هؤلاء حوانيتهم وهمّوا بالهرب من الاسواق^(١٥٨). فيما فسر البعض تلك الظاهرة بانها دليل على قرب حدوث وفيات في اوساط كبار العلماء والفقهاء. وقد اورد العمري نفسه قائمة باسماء عدد ممن تصادف وفاتهم في تلك السنة او في السنوات القليلة التي اعقبته^(١٥٩).

وتجدر الإشارة الى ان تقوياً كان قد ورد من بغداد الى الموصل في عام ١٧٩٢/١٧٩٣م (١٢٠٧هـ) بنبيء بحدوث كسوف للشمس في اليوم الاخير من شهر محرم من تلك السنة، وقد انتظر الناس وقوع تلك الظاهرة سدى^(١٦٠). على ان السنة التالية شهدت سقوط نيزك كبير آخر انبعث منه ضوء شديد وحدث ارتطامه بالارض فرقتين شديتين^(١٦١).

وفي ١٨٠٢/١٨٠٣م (١٢١٧هـ) حدث كسوف جزئي للشمس استمر لمدة ساعة ونصف الساعة، واختفى ثلثا ضياءها^(١٦٢). وبعد مرور ثلاث سنوات شهدت الموصل خسوفان كليان للقمر^(١٦٣).

" الخاتمة "

اولت العناية الالهية مدينة الموصل الكثير من النعم لعل ابرزها اعتدال المناخ حتى ان الموصل عرفت بـ (ام الربيعين). كما اشتهرت الموصل باقتصادها المزدهر اذ تنتشر فيها زراعة العديد من المحاصيل التي تفيض عن حاجة السكان. كذلك عرفت الموصل بنشاطها التجاري الواسع ووفرة اسواقها، فضلاً عن تفوق صناعاتها المحلية.

لكن ذلك كله لم يحل دون تعرض الموصل الى كثير من المحن والكوارث الطبيعية كتفشي الامراض والابوئة ولاسيما وباء الطاعون الذي اجتاح الموصل مرات عديدة واودى بحياة الكثير من ابنائها حتى تجاوز عدد ضحاياه في بعض الاحيان الف نسمة يومياً. واضطر البعض من سكان الموصل الى النزوح صوب القرى المجاورة. كذلك عانت الموصل من بعض الامراض الخطيرة الاخرى ولاسيما الجدري والحصبة خصوصاً في اوساط الاطفال حيث اوديا بحياة اعداد كبيرة منهم.

وزيادة على ماتقدم قاست الموصل من خطر اسراب الجراد ولاسيما الجراد المعروفة بالنجدي والذي تسبب في اتلاف كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية وغلاء اسعارها ومن ثم حدوث مجاعات كبيرة في الموصل اضطرت الاهالي في بعض الاحيان الى اكل لحوم الدواب وحتى الميتة منها احياناً. كذلك تعرضت الموصل الى ازيمات جفاف قاسية بسبب تأخر موعد سقوط الامطار او شحتها سيما وان قسماً كبيراً من حاصلات الموصل الضرورية كالحنطة والشعير يعتمد على الامطار بصورة كلية. ولجأ اهالي الموصل مرات كثيرة الى اقامة صلوات الاستسقاء بصحبة الولاة وعلماء ووجهاء المدينة املاً في ان تستجيب العناية الالهية لدعواتهم وذلك ماتحقق في احيان كثيرة.

وفي السياق نفسه داهمت الموصل في احيان كثيرة موجات برد شديدة تسببت - ولو نادراً - في انجماد نهر دجلة بصورة كلية. كما شهدت الموصل ايضاً سقوط الثلوج بكثافة ولاوقات طويلة تخللها احياناً سقوط برَد بحجم كبير جداً بلغ في بعض الاحيان حجم بيضة الدجاج او الجوزة. و اخيراً فقد تعرضت الموصل الى عدد من الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل - والتي كانت في معظمها خفيفة الشدة - فضلاً عن الصواعق والعواصف وحوادث الكسوف والخسوف وسقوط بعض النيازك. وادت هذه الكوارث الى اضرار شتى كتلف المحاصيل

الزراعية وانهايار بعض الدور والى حدوث حالات اجهاض كما هو الحال حينما سقط نيزك في الجهة الغربية من الموصل في سبعينات القرن الرابع عشر الميلادي.

الهوامش

- (١) ياسين بن خير الله العمري، زبدة الاثار الجليلة في الحوادث الارضية، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، (النجف الاشرف: ١٩٧٤)، ص ١٦.
- (٢) خليل علي مراد، "الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي، (١٥١٦- ١٧٢٦) في موسوعة الموصل الحضارية، ط ١، م ٤، (الموصل: ١٩٩٢)، ص ١٧.
- (٣) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، ج ١، (مصر: ١٩٢٣)، ص ٢٦٧.
- (٤) مراد، المصدر السابق، ص ١٧.
- (٥) ياسين بن خير الله الخطيب العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء، تحقيق سعيد الديوه جي، (الموصل: ١٩٥٥)، ص ١٢.
- (٦) ياسين بن خير الله العمري الخطيب الموصل، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ٣٣١.
- (٧) للاطلاع على مؤلفات محمد امين العمري انظر سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، ج ٢، بيروت: ١٩٢٨، ص ص ٢٠٥-٢٠٦.
- (٨) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (٩) للاطلاع على مؤلفات ياسين العمري راجع سليمان الصائغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٢٠٨-٢٠٩. العمري، زبدة، ص ص ٢٣-٢٨.
- (١٠) العمري، منية، ص ١٧١.
- (١١) شهرزور وهي احدى الولايات العراقية في العهد العثماني وتقع في شمال العراق الى الشرق من ولاية الموصل وغير اسمها الى كركوك في عام ١٨٩٣.
- (١٢) العمري، زبدة، ص ٥٤.
- (١٣) عمدة البيان، نقلاً عن عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ط ١، ج ٣، (بغداد: ١٩٣٩)، ص ٤٢.
- (١٤) الجزيرة هي المنطقة المجاورة لبلاد الشام والمحصورة بين نهري دجلة والفرات وتضم عدداً من المدن المهمة كحوران والرها والرقّة وسنجار والموصل وغيرها. انظر شهاب الدين ابي

- عبد الله ياقوت بن عبد الله الجبوي الرومي البغدادي، معجم البلدان، م ٢، (لايبزك: ١٨٦٧)، ص ٧٢.
- (١٥) العمرى، زبدة، ص ٥٥.
- (١٦) العمرى، منية، ص ١٧٣.
- (١٧) جزيرة ابن عمر هي الآن بلدة من أعمال ديار بكر في تركيا. انظر العمرى، زبدة، ص ٥٦، هامش (١).
- (١٨) نفس المصدر والصفحة.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (٢٠) العمرى، الدر، و ٨.
- (٢١) المصدر نفسه، و ٨.
- (٢٢) العمرى، منية ص ص ١٧٤، ١٧٥.
- (٢٣) العمرى، زبدة، ص ٧١.
- (٢٤) العمرى، الدر، و ٢٢.
- (٢٥) العمرى، زبدة، ص ٧٩.
- (٢٦) عمدة البيان، نقلاً عن عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، م ٥، (بغداد: ١٩٥٣)، ص ٢٥٤. وقد ايد مصدر آخر نفس رقم الضحايا. انظر محمد امين بن خير الله الخطيب العمرى، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحداة، ج ١، تحقيق سعيد الديوه جي، (الموصل: ١٩٦٧)، ص ١٤٩.
- (٢٧) العمرى، زبدة، ص ٩١.
- (٢٨) يعد الحاج حسين باشا الجليلي من مشاهير ولاية الموصل وقد تولى حكم الموصل مرات عديدة وبرز بشكل خاص آبان محاولة نادر شاه غزو الموصل في عام ١٧٤٣م.
- (٢٩) العمرى، منية، ص ٣٥.
- (٣٠) العمرى، زبدة، ص ص ١٢٣-١٢٥. وينبغي التنويه الى ان هذا المصدر لم يذكر الطاعون صراحة بل اكتفى بذكر الوباء فقط.
- (٣١) عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي، تاريخ حوادث بغداد والبصرة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ٤١، هامش ٦.

- (٣٢) العمرى، الدر، و٩٤.
- (٣٣) لمزىء من التفاصىل عن تلك النزاعات انظر الصائغ، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٢.
- (٣٤) العمرى، منىة، ص١٨٧.
- (٣٥) العمرى، الدر، و٩٦. وقد قدر العمرى فى مصدر آخر عدد تلك الخسائر بنحو من ستمى ألف نسمة. انظر العمرى، زبدة، ص١٣٦.
- (٣٦) البغدادى، المصدر السابق، ص ص ٤٤-٤٥. محمد امىن بن خىر الله الخطىب العمرى، منهل الاولىاء ومشرىب الاصفىاء من سادات الموصل الحذباء، ج١، تحقىق سعىء الءىوه جى، (الموصل: ١٩٦٧)، ص١٨٦.
- (٣٧) العمرى، الدر، و١٣٧.
- (٣٨) العمرى، غرائب، ص٦٨.
- (٣٩) العمرى، زبدة، ص ١١٦.
- (٤٠) العمرى، الدر، و١١٦.
- (٤١) العمرى، زبدة، ص١٤٩.
- (٤٢) ياسىن افندى العمرى ابن خىر الله الخطىب العمرى الموصلى، غرائب الاثر فى حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره محمد صدىق الجلىلى، (الموصل: ١٩٤٠)، ص٣٩.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص٤٨.
- (٤٤) المصدر نفسه، ص٦٨.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص٨٢.
- (٤٦) لعل تلك الاعراض تتطبىق على مرض السل اكثر من غىره من الامراض.
- (٤٨) قدر العمرى حجم تلك الخسائر بعشرىن شخساً يومياً. انظر منىة، ص١٨٥، فىما قُدر اجمالى الخسائر بما ىزىء على مئة شخس. انظر زبدة، ص٢١. وتحسن الاشارة الى الاختلاف الذى وقع فىه العمرى حىن تثبىته تاريخ المرض فى حىن ذكر فى كتابه الاول ان تاريخ المرض كان فى عام ١٧٦٣/١٧٦٤م (١١٧٧هـ) اشار فى كتابه الثانى الى ان تاريخه كان فى عام ١٧٦٢/١٧٦٣م (١١٧٦هـ).
- (٤٩) العمرى، منىة، ص١٧٣.
- (٥٠) العمرى، الدر، و١١٣. العمرى، زبدة، ص١٤٥.

- (٥١) العمري، زبدة، ص ٥٨.
- (٥٢) العمري، غرائب، ص ٤.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (٥٤) محمود الحاج قاسم محمد، " الطب " في موسوعة الموصل الحضارية، م ٤، ص ٣٧٨.
- (٥٥) العمري، زبدة، ص ٥١.
- (٥٦) العمري، منية، ص ١٧٣.
- (٥٧) العمري، زبدة، ص ٥٧.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٥٨.
- (٥٩) العمري، منية، ص ١٧٣.
- (٦٠) العمري، زبدة، ص ٧٣. وقد اورد العمري في مصدر آخر ان الجراد الذي ظهر في عام ١٦٧٣/١٦٧٤ م (١٠٨٤هـ) لم يبق في الموصل سوى ثلاثة ايام ولم يلحق اضراراً. انظر الدر، ٢٢.
- (٦١) العمري، زبدة، ص ٧٣.
- (٦٢) العمري، منية، ص ١٧٥. العمري، الدر، و ٢٥، ٢٤.
- (٦٣) العمري، زبدة، ص ص ١١٠-١١١.
- (٦٤) العمري، الدر، و ٣٢. ولدى محاولتنا التعريف بشخصية ابراهيم باشا وجدنا انه كان هناك والياً واحداً فقط باسم ابراهيم باشا لكن ولايته كانت في فترة سبقت حدوث ذلك الغلاء بنحو من خمسين سنة. انظر عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، (النجف الاشرف: ١٩٧٥)، ص ص ٣٢-٣٣.
- (٦٥) العمري، الدر، و ٤٣.
- (٦٦) العمري، زبدة، ص ص ١١٣-١١٤.
- (٦٧) العمري، الدر، و ٧٥، العمري، منية، ص ١٨٣.
- (٦٨) العمري، زبدة، ص ١١٥. وتجدر الاشارة الى ان الوصف الذي قدمه العمري لكارثتي الجراد والمجاعة اللتين حلتا بالموصل في عامي ١٧٥٧-١٧٥٨ م كان وصفاً موضوعياً وبعيداً عن المبالغة والتهويل بدليل ان مصدراً آخر عرض وصفاً اشد سوءاً لتلك الكارثتين. انظر

- دومينيكولانزا، الموصل في الجيل الثامن عشر، عربها عن النص الايطالي روفائيل بيداويد، (الموصل: ١٩٥١)، ص ص ٣٦-٣٧.
- (٦٩)العمري، الدر، و١٣٣.
- (٧٠)العمري، زبدة، ص ١٧٦. العمري، غرائب، ص ٣٧.
- (٧١)العمري، منية، ص ١٩١. العمري، غرائب، ص ٣٧.
- (٧٢)العمري، الدر، و١٣٤.
- (٧٣)العمري، غرائب، ص ص ٤٦، ٤٢.
- (٧٤)العمري، زبدة، ص ٥٨.
- (٧٥)المصدر نفسه، ص ص ٥٨-٥٩.
- (٧٦)العمري، غرائب، ص ١٢.
- (٧٧)العمري، منية، ص ١٧٥.
- (٧٨)العمري، زبدة، ص ٧٣. العمري، منية، ص ١٧٥.
- (٧٩)العمري، الدر، ٢٣.
- (٨٠)العمري، منية، ص ص ١٧٥-١٧٦.
- (٨١)عمدة البيان، نقلاً عن العزاوي، المصدر السابق، م ٥، ص ١٢٨.
- (٨٢)لمزيد من التفاصيل عن اسعار المواد الغذائية آبان الغلاء الكبير. انظر العمري، منية، ص ١٧.
- (٨٣)الرطل: وهو وحدة وزن وكان وزنه يتراوح بين ٤٠١,٧٨ غم و ٤٠٦,٢٥ غم. انظر فالتر هنتس، المكايل والاوزان الاسلامية، ترجمة عن الالمانية كامل العسلي، (عمان: ١٩٧٠)، ص ٤٦.
- (٨٤)العمري، زبدة، ص ٧٤.
- (٨٥)المصدر نفسه، ص ٧٦ وتجدر الاشارة الى ان الاربعية كلمة يطلقها الموصليون على تلك الفترة من فصل الشتاء والتي تستغرق اربعين يوماً وتمثل ذروة الشتاء.
- (٨٦)العمري، منية، ص ١٧٩.
- (٨٧)عمدة البيان، نقلاً عن العزاوي، المصدر السابق، م ٥، ص ص ٢٦٥-٢٦٦.
- (٨٨)العمري، غرائب، ص ١٣.

- (٨٩) العمرى، الدر، و ٩٠. العمرى، زبده، ص ١٢٨. العمرى، منية، ص ١٨٦.
- (٩٠) العمرى، الدر، و ١١٩.
- (*) القرش: وهو عملة فضية اصدرها العثمانيون منذ اوائل القرن الثالث عشر الميلادى والقرش نوعان الصحيح ويساوي (٤٠) بارة والرائج ويساوي (١٠) بارات انظر عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، (بغداد: ١٩٥٨)، ص ص ١٤٧-١٤٨.
- (٩١) العمرى، منية، ص ص ١٨٩-١٩٠. العمرى، زبده، ص ص ١٥٤-١٥٥.
- (٩٢) العمرى، غرائب، ص ١٤. العمرى، زبده، ص ١٥٥.
- (٩٣) لمزيد من التفاصيل عن تلك الاجراءات انظر العمرى، غرائب، ص ١٥.
- (٩٤) العمرى، الدر، و ١٢٩.
- (٩٥) العمرى، زبده، ص ١٦٩.
- (٩٦) العمرى، غرائب، ص ٢٦.
- (٩٧) العمرى، زبده، ص ١٧١.
- (٩٨) العمرى، منية، ص ١٧١.
- (٩٩) العمرى، زبده، ص ٥٤.
- (١٠٠) المصدر نفسه، ص ١٠٠.
- (١٠١) انظر على التوالى العمرى، منية ص ١٧٣. العمرى، زبده، ص ٥٦.
- (١٠٢) العمرى، غرائب، ص ٤٢.
- (١٠٣) العمرى، زبده، ص ٦٠.
- (١٠٤) العمرى، غرائب، ص ١٣.
- (١٠٥) العمرى، الدر، و ٣٢.
- (١٠٦) المصدر نفسه، و ٥٤.
- (١٠٧) العمرى، زبده، ص ١٠٦.
- (١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
- (١٠٩) المصدر نفسه، ص ١١٤.
- (١١٠) العمرى، الدر، و ٧٥.

- (١١١) العمري، منية، ص ١٨٤. اكدت المصادر التاريخية الاخرى وقوع تلك الظاهرة النادرة الحدوث. انظر لانزاء، المصدر السابق، ص ٣٤. الصائغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩ وقد عقب المصدر الاخير على موجه البرد المشار اليها بقوله: " انها لم يسبق لها مثيل ".
- (١١٢) العمري، زبدة، ص ١١٤. ومن الجدير بالذكر ان احد المصادر المعاصرة اورد تفاصيل وافية عن آثار موجة البرد هذه على اهالي الموصل. انظر لانزاء، المصدر السابق، ص ٣٥.
- (١١٣) كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الشهير بالغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٣، (حلب: ١٩٢٦)، ص ٣٠٠.
- (١١٤) العمري، الدر، و ١٠٢. العمري، زبدة، ص ١٤٠.
- (١١٥) العمري، منية، ص ١٨٨.
- (١١٦) العمري، زبدة، ص ١٤٧.
- (١١٧) العمري، زبدة، ص ص ١٧٦-١٧٧. العمري، غرائب، ص ص ٣٧-٣٨.
- (١١٨) العمري، غرائب، ص ٤١.
- (١١٩) المصدر نفسه، ص ٤٦.
- (١٢٠) المصدر نفسه، ص ٥٦.
- (١٢١) المصدر نفسه، ص ٦٠.
- (١٢٢) العمري، منية، ص ١٧٣.
- (١٢٣) اخلاط والارجح خلط وهي قصبة ارمينيا الوسطى وتشتهر بكثرة الفواكه والمياه انظر شهاب الدين البغدادي، المصدر السابق، م ٢، ص ص ٤٥٧-٤٥٨.
- (١٢٤) العمري، زبدة، ص ٥٧.
- (١٢٥) المصدر نفسه، ص ١٢٣.
- (١٢٦) العمري، الدر، و ١١٦.
- (١٢٧) العمري، زبدة، ص ١٥٠.
- (١٢٨) العمري، الدر، و ١١٩.
- (١٢٩) المصدر نفسه، و ١٣٦.
- (١٣٠) العمري، غرائب، ص ٥١.
- (١٣١) العمري، منية، ص ص ١٨٨-١٨٩.

- (١٣٢) العمرى، الدر، و ١١٥ العمرى، زبدة، ص ١٤٩.
- (١٣٣) العمرى، الدر، و ١٣٤.
- (١٣٤) العمرى، غرائب، ص ٤٦.
- (١٣٥) العمرى، زبدة، ص ١١٦.
- (١٣٦) المصدر نفسه، ص ١٣٩.
- (١٣٧) المصدر نفسه، ص ١٢٤.
- (١٣٨) العمرى، غرائب، ص ٤٦.
- (١٣٩) العمرى، زبدة، ص ١٣٩.
- (١٤٠) المصدر نفسه، ص ١٥٢.
- (١٤١) العمرى، غرائب، ص ٦٤.
- (١٤٢) العمرى، زبدة، ص ١٧٧.
- (١٤٣) العمرى، غرائب، ص ص ٢٤-٢٥.
- (١٤٤) العمرى، الدر، و ٨٥، العمرى، منية، ص ١٨٥.
- (١٤٥) العمرى، زبدة، ص ١٢٤.
- (١٤٦) العمرى، منية، ص ١٧١.
- (١٤٧) العمرى، الدر، و ٣٤.
- (١٤٨) المصدر نفسه، و ٩١ تجدر الاشارة الى ان احد المصادر المعاصرة اوردت بعض التفاصيل عن هذا المذهب. انظر لانزاء المصدر السابق، ص ٦٣.
- (١٤٩) العمرى، زبدة، ص ص ١٢٧-١٢٨.
- (١٥٠) المصدر نفسه، ص ١٣١.
- (١٥١) العمرى، الدر، و ٩٧.
- (١٥٢) العمرى، زبدة، ص ١٣٦.
- (١٥٣) العمرى، الدر، و ١١٢.
- (١٥٤) تعني كلمة المتسلم وكيل الوالى او من ينوب عنه.
- (١٥٥) العمرى، زبدة، ص ١٤٤.
- (١٥٦) العمرى، الدر، و ١١٣.

- (١٥٧) العمرى، منية، ص ١٩١ .
(١٥٨) العمرى، زبدة، ١٦١ .
(١٥٩) العمرى، غرائب، ص ١٩ .
(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٧ .
(١٦١) العمرى، الدر، و ١٣١ . العمرى، غرائب، ص ٣٣ .
(١٦٢) العمرى، غرائب، ص ٦٥ .
(١٦٣) المصدر نفسه، ص ٧٠ .